

بصرها على الأولاد الثمانية الذين كانوا يلعبون وقتئذ
أمام الكوخين :

— انظر يا هنرى إلى هؤلاء الأطفال السعداء .

ثم أشارت بيدها إلى طفل منهم كان يتمرغ مع آخر

على الأرض وقالت :

— ما أظرف هذا الغلام وهو يتقلب على الأرض بفرح

وسرور ويمرغ نفسه في التراب مع زميله الآخر ! !

فلم يجب زوجها على ملاحظتها بشئ . على حين استطرذت

السيدة قائلة :

— كم أود أن أقبل هؤلاء الأطفال جميعا ! !

ثم نهدت نهدة عميقة حارة صادرة من قلب يائس مكوم

وتابعت حديثها إليه فقالت :

— كم أشتهى يا هنرى أن يكون لدينا ولد من هؤلاء الأولاد

ولا سيما هذا الولد الواقف هناك بمفرده ، وأظنه أصغرهم سنا .

قالت ذلك ثم قفزت من المركبة بمخفة ونشاط وهرعت نحو

الأطفال وأمسكت بالولد الذى أشارت إليه ورفعته بين ذراعيها

وأخذت تقبل خديه القديين وشعره المجدد المعفر بالتراب ، ويديه

الصغيرتين اللتين كان يحاول أن يخلص نفسه بهما من بين يديها

اللتين كانتا تمسكان به بحنان بالغ ورفق عظيم ، ثم تركته وعادت

إلى المركبة منضرفة إلى حال سبيلها .

وفى الأسبوع التالى عادت هذه السيدة مرة أخرى وجلست

تساظر الأطفال النابهين كما لو كانت واحدة منهم ! وقد أحضرت

لهم معها فى هذه المرة كمية من الكمك والفتاير والحلوى ،

وأخذت تقدمها إليهم وتوزعها عليهم بنفسها ، بينما كان زوجها ،

واسمه هنرى دوبريه ، ينتظرها فى المركبة على مضض ، وينظر

إلى ما يجرى حوله بشئ من الدهشة والتراب .

وسارت تلك السيدة الرحيمة الطيبة للقلب ، تردد على

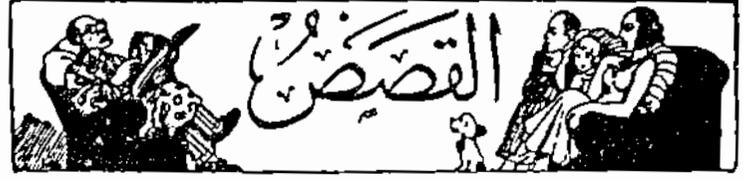
الكوخين من وقت لآخر ، وكانت تحشو حقيبتها وجيوبها فى

كل مرة بالحلوى التى كان يتقبلها الأطفال منها بكل لذة وسرور .

وبمرور الأيام تعرفت مدام دوبريه إلى كل من المائتين

التجاورين ، وعرضت عليهما صداقتها التى كان لها أحسن وقع

وأجل أثر فى نفوسهما الحزينة البائسة .



في الريف ...

الطبيب الفرنسى ميبى رى موباسار

بقلم الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن



هناك فى منحدر التل الواقع بقرب مجرى النهر ، وفى كوخين
حقيرين متجاورين ، كان يقطن فلاخان يشتغلان بكبد وعناء
ليخرجا من الأرض المجدبة ما يقوم بأودهما وأود عيلتيهما
الفقيرتين ...

وكان يقيم فى كل كوخ منهما أربعة أولاد تتراوح أعمارهم
بين الست سنوات والخمس عشرة سنة ، وكثيراً ما كان هؤلاء
الأولاد الثمانية يتجمعون بمقربة من الكوخين ويظلمون فى ليل
ذأم ومرح مستمر من الصباح إلى الغروب .

وكان كلا الفلاخين متزوجا ، وكلاهما ينجب الأولاد بنسبة
واحدة وفى وقت واحد تقريباً ! وكانت كل أم من الأسترين تميز
أولادها بصموية من بين أولاد الأم الأخرى ، ولا سيما حينما
كانوا يلعبون جميعاً أمامهما !

وكان الأبوان يخلطان فى كثير من الأحيان بين أولادها
وبين أولاد الأب الآخر ! وكم كان فكها إذا أراد أحدهما أن
يدعو ولدأ من أولاده أن يردد على الأقل اسم ولدين أو ثلاثة
قبل أن تنطق شفاه باسم الولد الذى يريده !

وكانت عيلة توفاسن تسكن فى الكوخ الأول ولها ثلاثة
أولاد وبنت ، فى حين أن عيلة فالنس التى كانت تقطن فى الكوخ
الأخر لها ثلاث بنات وولد .

فى ظهر يوم من أيام شهر أغسطس الحارة ، وقفت مركبة
صغيرة أنيقة أمام هذين الكوخين ، وقالت السيدة الصغيرة التى
كانت تقود المركبة لزوجها الشاب الجالس بجوارها حينما وقع

وكان يبدو على عينا توفاسن - زوجها - علامات التردد والتفكير العميق دون أن ينبس طول هذه المدة ببنت شفة ، ولكن كان يلوح عليه أنه موافق على اعتراض زوجته بدليل أنه كان يهز رأسه من وقت لآخر موافقة منه وتأبيداً لقولها ! !

وبدا اليأس يتطرق حينئذ إلى نفس مدام دوربيه فحوت وجهها شطر زوجها وقالت له بصوت مكتئب حزين :

- هنرى ! إنهما يمانان في أن نأخذ ولدتهما شارلوت معنا ! وحاول المسيو هنرى دوربيه أن يفتح الزوجين المتعدين لآخر مرة فقال : فكراً جيداً في مستقبل ولدكما وهنائه قبل أن ترفضاً هذا الطلب نهائياً ...

فهزت مدام توفاسن كتفها بسخرية واستخفاف وقاطعته بقولها : لقد فكرنا ياسيدي في كل هذا من قبل ، والآب أرجو منكما أن تكفيا عن الكلام في هذا الموضوع ولا تحاولا إثارة مرة أخرى . وبينما المسيو هنرى دوربيه وزوجته يهمان بالخروج إذ فتح باب الكوخ في تلك اللحظة ودخل منه ولد صغير يشبه شارلوت إلى حد كبير حتى أن من رآهما لأول وهلة يظن أنهما توامان ! فلما وقع بصر مدام دوربيه عليه سألت زوجة توفاسن قائلة : هل هذا الولد الصغير ابنكما أيضاً ؟ فأجاب توفاسن باقتضاب وهو يحك يده لحيته البيضاء الكثيفة الشعر : كلا إنه جان فالنس ، ابن جارنا الآخر فالنس الذي يقطن في الكوخ المجاور ، ويمكنكما أن تحاولا أخذه منه إذا استطعتما ذلك ! !

فرد عليه المسيو هنرى دوربيه بحزم وإصرار وقال : سنحاول ذلك بكل تأكيد ! فابتسم توفاسن ابتسامة عريضة ماكرة وقال له وهو يهيم بالوقوف لتوديبه : إذن أرجو لك النجاح والتوفيق في مهمتك ! ! ولما دخلت مدام دوربيه وزوجها الكوخ المجاور ، وعرضا على فالنس وزوجته اقتراحهما السابق ، رفض الزوجان هذا الاقتراح في بادئ الأمر ، ولكن مدام دوربيه وزوجها ما زالوا يهما حتى أقتنعاها بوجهة فكرتهما ، وصواب رأيهما ، ولا سيما حينما ذكرا لها المبلغ الذي سيمتغانه في كل شهر ! ! وبعد فترة قصيرة وجهت مدام فالنس حديثها لزوجها فقالت : مارأيك في هذا المرض السخى يا زوجي العزيز ؟ فأجابها زوجها وهو يقتل يده الخشنة شاربيه الكثيفين : إنني لا أمانع في ذلك يا عزيزتي ، وليس عندي أي اعتراض مطلقاً . وتكلمت مدام دوربيه حينئذ عن مستقبل الطفل ، وسعادته ، وعن النفود

وفي صباح يوم نزل المسيو هنرى دوربيه من المركبة واصطحب زوجته معه ثم دخلا كوخ آل توفاسن دون أن يخاطبا في هذه المرة أحداً من الأطفال الذين كانوا قد تعلقوا بهما وأحبوهما حباً جماً .

وكان توفاسن وزوجته موجودين في الكوخ في ذلك الوقت فدهشا لدخول مدام دوربيه وزوجها الفجائي ، وقدمتا إليهما ، تمدين نظيفين ، وانتظرا بفارغ صبر ما ستقوله لهما هذه السيدة التي بدأت حديثها وتثنت بصوت خافت ولهجة مترددة :

- لقد أتينا لزيارتكما اليوم ، لأننا نريد أن تتبنى ولدكما الأصغر شارلوت . فذهل توفاسن وزوجته لقولها وعقدت الدهشة لسانيهما فلم ينبسا ببنت شفة . ولكن مدام دوربيه لم تكثرت لدعشتهما البالغة وتابعت حديثها فقالت :

- ليس لدينا أطفال ولهذا نود أن تتبنى ابنكما ، فهل تقبلان ذلك ؟

وهنا بدأت مدام توفاسن تفهم ما تعنيه مدام دوربيه بهذا الكلام فقالت لها بلهجة لا تخلو من الإستنكار :

- هل معنى ذلك أنكما تريدان أن تأخذا ولدنا شارلوت منا ؟ فتدخل المسيو هنرى دوربيه عند ذلك في الحديث وقال :

- إن زوجتي لم تبين لكما غرضنا تماماً ، فكل ما في الأمر أننا نرغب في أن تتبنى طفلكما الصغير ، وليس معنى ذلك أننا سنحول بينه وبين زيارتكما ، بل إننا سنترك له مطلق الحرية في التردد عليكما في أي وقت ، وإذا سلك معنا مسلكاً حسناً - وهو ما ننتظره منه في المستقبل - فنسجمله وورثنا الوحيد ، وحتى إذا أنجبنا أطفالاً في المستقبل فنسشركم مع أبنائنا في الإرث . وإذا لم تثمر فيه تربيتنا وتعليمنا ، فإننا لن ندعه وشأنه كما يفعل بعض الناس ، بل سنعطيه حيناً يبلغ أشده عشرين ألفاً من الفرنكات وسنودع هذا المبلغ باسمه في أحد المصارف الكبيرة على أن يسحبه إذا بلغ سن الرشد ضمناً لحسن تصرفه فيه ، وزيادة على ما تقدم فإننا سنعدكم بمنحة شهرية قدرها مائة من الفرنكات مدى الحياة .

ولكن أبت عقلية مدام توفاسن البسيطة الساذجة إلا أن تفهم هذا القول على غير حقيقته ، وتؤوله تأويلاً آخر ، واستبد بها الحلق والنضب عندئذ فقالت :

- أريدان منا أن نبيكما ولدنا شارلوت في نظير جاهكما المريض ، ورتوكما الطائفة ؟ هذا محال ... محال ! !

في ولدها جان وباعته لمدام دوريه وزوجها بيع السلع ! وكانت مدام توفاسن تمسك بولدها شارلوت من وقت لآخر وترفعه بين ذراعيها ثم تخاطبه بقولها :

— إنني لم أبعك ولن أبيعك يا ولدي العزيز بالرغم من أنني لست غنية كما تعلم ويعلم جميع الناس ...

وكانت لا تفتأ تردد هذه العبارات التهكية وأمثالها في كل يوم بلهجة ساخرة وبصوت عال مسموع كان يصل في كثير من الأحيان إلى مسامع فالنس وزوجته ! وبلغ الغرور بدمام توفاسن إلى حد أنها كانت تزعم نفسها أعظم شأنًا من أهل قريتها جميعًا ، وأرفع منهم منزلة وأعلام مقامًا ، لا لشيء إلا لأنها لم تبيع ولدها شارلوت ! ولم يتب هذا الغرور عن أهل القرية أنفسهم ولم يفهم أن يلاحظوا عليها ما كانت تدعيه من العظمة المصطنعة والخيلاء الكاذب ، ولكنهم كانوا مع ذلك لا يفتأون يرددون أمامها أنها سلكت مسلك الأمهات الطيبات القلب !! ولما بلغ شارلوت الثامنة عشرة من عمره كان يتباهى على أقرانه ، ويعتقد — كوالديه — أنه أعلى منهم مرتبة وأسمى مكانة لأن أمه المحبة لم تبعه كما باعت مدام فالنس ولدها جان !! وبينما كانت عائلة فالنس ترتع في بحبوحة العز والرفاهة ، كانت عائلة توفاسن لا تزال على ما هي عليه من الفقر المدقع والفاقة البائسة ! وكان يسار أسرة فالنس وغناها هما السر في هذا البغض ، والباعث على تلك الكراهية التي كانت تبديها عائلة توفاسن نحوها في كل وقت وفي أي مناسبة !! وبعد مضي مدة انحدر الابن الأكبر لمدام توفاسن في سلك الجندي ، بينما توفي ولدها الآخر إثر مرض خطير ألم به ولم يمهله إلا بضعة أيام . أما شارلوت فقد ظل في القرية ليساعد والده الذي كان قد بلغ من الكبر عتياً ، وليعين أمه المعجوز وأخته الوحيدة على العيش ومكافحة مصاب الحياة . وكان شارلوت قد بلغ الحادية والعشرين من عمره حين وقعت في صباح يوم مركبة صغيرة جميلة أمام الكوخ المجاور ، ونزل منها شاب قوى وسيم الطلعة ، أبيض الثياب ، ثم دخل الكوخ بقدمين ثابتتين ، وخطوات متزنة واسعة ... وكانت مدام فالنس تفضل ثيابها في ذلك الوقت ، بينما كان زوجها الذي بلغ من العمر أرذله يستدفئ بيران الدفئة . وقبل أن يفيق الوالدان من دهشهما تقدم الشاب — ولم يكن إلا ابنهما جان فالنس نفسه — نحوهما وقال لهما وهو

الكثيرة التي سوف يمد بها عائلته في المستقبل . فلما أتمت كلامها سألتها فالنس وقد ارتسمت على شفثيه إبتسامة الرضا والإرتياح ، وشاعت النبطة والسرور في قلمات وجهه الكثير التجاعيد : وهل ستأخذ المائة فرنك على يد أحد المحامين ؟ فأجابه السيو هنري دوريه وهو يهز رأسه موافقاً : بلا شك ... بلا شك !! وأرادت مدام فالنس أن تنهز القرصة فتزيد هذا المبلغ قليلا فقالت لمدام دوريه وهي تنظر من طرف خفي إلى زوجها نظرة ماكرة ذات معنى :

— أظن أن المائة فرنك ليست بالمبلغ الكافي في نظير انتراع ولدنا منالأنه سيصبح بعد بضع سنوات قادراً على العمل والكسب ، ولذا يستحسن أن يكون هذا المبلغ مائة وعشرين فرنكاً في الشهر !! فوافقت مدام دوريه على ذلك بعد قليل من التردد دون أن يخفى عليها جشع مدام فالنس وشدة طمعا !!

ولكى تثبت للزوجين الفقيرين مدى غناها وجودها ، فقد أخرجت من حقيبتها يدها مائة وعشرين فرنكاً وأعطتها لمدام فالنس التي تناولتها منها بمزيد من النبطة والسرور ، في حين جلس زوجها هنري يكتب شروط الاتفاق بتؤدة وإيمان . فلما انتهى منه استدعى عمدة القرية وأحد الشهود فوقما معه على العقد الذي أصبح قانونياً من كل الوجوه ...

وخرجت مدام دوريه من الكوخ فرحة مسرورة لنجاح مساعها ، وتوفيقها في مهمتها ، في حين كان الطفل الذي حملته بين ذراعيها يبكي بحرقة وحرارة لفراق والديه وتخليهما عنه ، ويحاول أن يخلص نفسه من بين ذراعيها ولكن بلا فائدة ... وشاهد توماس وزوجته رحيل الطفل جان بوجهين كالحين . والظاهر أنهما قد لآما نفسيهما على رفضهما التنازل عن ولدهما شارلوت ، ونذما — بعد قوات الوقت — على ضياع هذا الكنز الثمين منهما !!

ولم يسمع أحد من أهل القرية شيئاً عن جان فالنس لمدة طويلة من الزمن . وكان أبواه يذهبان في أول كل شهر إلى مكتب المحامي فيتسلطان منه المائة والعشرين فرنكاً ثم يمودان إلى كوخهما آمنين مطمئنين ...

وساءت العلاقات حينئذ بين عائلة فالنس وبين عائلة توفاسن التي كانت تديرها وتمحط من شأنها أمام أفراد القرية لأنها فرطت

— إنها لبقاوة بمنكا حقاً أن تدعا جان فالنس يذهب مع مدام دوريه وزوجها بدلا مني ! وإنه لمن سوء حظي أيضا أنك لم تضحيا بي بسبب خانكا وغرورك وأنا نيتكا ... وهنا تدخل الأب في الحديث فقال موجهاً كلامه لابنه : هل تلومنا الآن يا ولدي لأننا لم نشأ أن نفرط فيك كما فرطت مدام فالنس وزوجها في ولدهما جان ؟ ولكن شارلوت لم يأبه لدفاع والديه بل هز كتفيه ساخراً واستمر في ثورته فقال : نعم إنني ألومك لأنك فوتما على هذه الفرصة التي قل أن يجود الدهر بمثلها . وإن الآباء والأمهات أمثالكم كثيراً ما يجنون على أولادهم بجهلهم ، ويحطمون مستقبلهم بمثل هذا الخنان الضار ، والحب الرذول ، والأنانية المقوتة . فقالت له أمه وقد حز في نفسها حديث ولدها المؤلم وثورته الصاخبة : هل هذا جزاء حبنا لك واحتفاظنا بك ؟ فأجاب شارلوت وهو يكاد يبكي من شدة الحنق والنبط وقد اعتمد ذقنه براحة يده : كم أتعنى الآن لو لم أكن قد ولدت حتى لا أظل في هذه الحالة المؤلمة التي أنا عليها الآن . وبعد لحظة سكوت قصيرة تابع حديثه إليهما فقال ، بلهجة أشد وأعنف من الأولى : إنني عندما رأيت جان فالنس في صباح هذا اليوم وهو يتزل من مركبته الأنيقة الفاخرة جرت دماء الحقد والغضب حارة في عروقي وقلت مخاطباً نفسي : (لو قبلت عائلكي ما عرضته عليها مدام دوريه وزوجها من قبل ، لكنك الآن في مركزه وظل هو في مركزي) . قال ذلك ثم نهض من مقعده فجأة وقال لها وشر الغضب يتطاير من عينيه اللامعتين ، والحنق الكامن في أعماق نفسه الثائرة يلوح على أسارير وجهه الحزين المكتئب : إنني لن أعتذر لكما هذه القلطة ما حبيت ، وقد استقر رأيي الآن على مناداة هذه القرية إلى الأبد ، والتزوج إلى قرية بعيدة نائية لا يعرفني فيها أحد ولا أعرف بها أحداً ، لأكسب فيها عيشي بعيداً عنك وعن أهل هذه القرية جميعاً . قال ذلك ثم فتح باب الكوخ بسرعة وهرع إلى الخارج بعد أن صفق الباب وراءه بشدة وعنف حتى لا يتمكن والداه من اللحاق به وإثباته عن عزمه ، ثم سار في الطريق مسرعاً على غير هدى واختفى في ظلام الليل الخالك السواد .

محمد عبد اللطيف حسن

بعد كلتا يديه لصاحفهما : اسعدتما صباحاً يا والدي العزيزين ...
 نهب الأب من مكانه دهشاً مذهولاً ، وعقدت المفاجأة السارة لسانه عن النطق ، بينما ألت الأم بقطعة الصابون في الوعاء الذي كانت تنسل فيه ثيابها لفرط اضطرابها ودهشها وهرعت نحو ابنها الذي لم يكن قد زارها منذ أن اصططحبته مدام دوريه معها ، وقالت له بصوت مضطرب صرتمش التبرات وهي تتأمله بزهو وإعجاب من فة رأسه إلى أخمص قدميه : هل أنت حقاً ولدنا جان ؟؟ فضمها الشاب إلى صدره بمحنات ورفق وقال لها وهو يضحك ملء شديقه : نعم إنني ولدك جان ! وقد جئت اليوم لزيارتك بعد أن أصبحت أحد المحامين الذين يشار إليهم بالبنان وسأمكنك في ضيافتك بضمة أيام . فقال له الأب بصوت يرتجف من فرط الانفعال وشدة الفرح والسرور : على الرحب والسعة يا بني العزيز . وبعد أن استرد أنفاسه اللاهثة استطرد في حديثه فقال : كم أنا سعيد بلقائك يا والدي ، ولا سيما بعد أن أصبحت رجلاً كامل الرجولة ... ولما أفاق الأب والأم من دهشتهما صمما على أن يقدا ولدهما جان إلى أهل القرية جميعاً . فرفاه أولادهمتها وقسيسها وناظر مدرستها . ثم عرفاه أخيراً بباقي أفراد أهل القرية الذين استقبلوه بمقاوة بالغة وسرور عظيم . وشاهد توفاسن كل هذا بعين دامعة تفيض بالألم والهلم والمذاب ، ونفس حزينة تملأها الحسرة والندم على ما فات ! وقد تغيرت نظرته إلى الحياة بعد ما رأى جان فالنس في ملبسه الأنيق وثيابه الغالية وشبابه الحيوي الفياض ، بينما هو لا يزال في فقره المدقع وأسماله الرثة البالية ، وفي المساء حينما اجتمع شارلوت بوالديه حول المائدة ، قال لها بصوت باك حزين تحنقه المبرات : أظنك رأيتنا جان فالنس في هذا الصباح وشاهدتما ما هو عليه الآن من وسامة الشكل ونخامة الثياب ؟ فأجابته أمه باكتئاب دون أن يفوتها تغير ابنها الفجائي غير المنتظر : نعم يا بني ! لقد شاهدنا كل ذلك ! ولكننا لم نشأ أن نبيك إلى مدام دوريه وزوجها كما فعلت مدام فالنس وزوجها بابنها جان ! لأننا رأينا أن في ذلك عارا عليك وإنما في حقتك كما هو عار علينا وإنما في حقنا أيضاً ... ولم يفه والده أثناء ذلك بكلمة واحدة ، بينما استمر الابن في حديثه الساخط المؤلم فقال :

بارر بافتتاح نسنخك من كتاب :

رفع عن البدوية

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وفر زيرت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

ونعنه ١٥ قرشاً

شباب قلب

دروس نقاشية تحليلية

صور من صميم الحياة

تحليل قصص على ذهن الفارس

عرض مشوق مرغّب

قلم

مبیب الزمهورى

ص

يطلب من إدارة الرسالة الثمن ١٥ عدا البريد

سكك - سكة الحديد الحكومية المصرية

صرف تذاکر مشتركة إلى الوجه القبلى بأجور منخفضة للسفر بها

بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى اللوكاندا

يشرف مدير عام السكك الحديدية باعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة لوكاندا وجه قبلى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من ١٥ يناير سنة ١٩٤٦ لغاية ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٦ بأجور منخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى اللوكاندا وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى اللوكاندا يومين وليلة أو ٥ أيام و٤ ايال أو ٧ أيام و٦ ليال أو ١٠ أيام و٩ ليال حسب الأثمان الموضحة بالتعريف الموجودة بالمحطات وشركة عربات النوم والشركات المعتمدة لسرف هذه التذاكر ولزيادة الانساح يستعمل من المحطات .